خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٠/١١/٢٦

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِك يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

لقد تناولت في الخطبة الماضية تعليم النبي ﷺ عن خُلُق الصبر العظيم وقدّمتُ لكم بعض الأمثلة بهذا الخصوص من أسوته الحسنة وسيرة صحابته رضي الله عنهم، فهذا الخلق السامي الذي نصح النبي ﷺ أتباعه أن يتحلّوا به، وقبل ذلك كان ﷺ قد قدَّم أسوته فيه، هو أن يستجيب المؤمن للحكم الإلهي ﴿اِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ (البقرة ١٥٤) ولا يستعين اللهَ ﷻ بالصبر والدعاء إلا مَن آمن به وتوكل عليه، وأيقن ووثق بأن الله ﷻ سينصرهم

بسبب صبرهم وإنابتهم إليه بصدق. فمن ذا الذي يدرك هذا الموضوع ويؤمن به ويوقن به أكثر من النبي ﷺ؟ ثم نال الصحابة هذا الإدراك نتيجة قوته القدسية، فرأوا مَشاهد نصْر الله وإعانته لهم في شتى المناسبات نتيجة أعمالهم.

أما في هذا العصر الحاضر فلا أحد يفهم ويدرك المغزى الحقيقي للتوجيه الإلهي: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ أكثر من المحب المخلص للنبي ﷺ، ولهذا السبب حاول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أن ينشئ هذا الخُلق في صحابته أيضا ونجح في هذا السعي، فقد نصح أبناء جماعته من أجل تربيتهم بالتحلي بهذا الخلق العظيم مِن خلال التوجيهات والكتابات المختلفة. فاليوم إن جماعة المحب المخلص للنبي ﷺ هي وحدها تستعين بالله بسبب هذه التربية وتَعرض عليه مشاعرها القلبية مُنيبةً إليه ضاربةً أمثلة الصبر والاستقامة. وقد قدَّم لنا سيدنا المسيح الموعود عليه السلام كل ذلك من خلال أسوته الرائعة، وتأثيرُ هذه التربية لا يزال يُلاحظ في أبناء الجماعة، حيث تحافظ الجماعة على هذا الخلق العظيم وهذه الأسوة الرائعة. لقد تعرّض سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لكل أنواع المعاناة والاعتداء بعد دعواه لكنه تمسك على الدوام بالصبر ورحابة الصدر. والملاحظ أنه لم يتمسك به شخصيا وحده فحسب بل قد قال لأصحابه أيضا: إذا انضممتم إليَّ فلا بد من التأسي بأسوة النبي ﷺ التي سعى الصحابة أن يقضوا حياتهم متأسين بها. والآن سأقدم لكم بعض الأحداث من حياة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام التي تلقي الضوء على صبره العظيم في شتى الوقائع، فقد نصح أتباعه بالتحلي بالصبر في أبسط الأمور إلى الشئون الجليلة العظيمة وأمَرَهم بالعمل به بصرامة. وقد لفتَ الله سبحانه وتعالى انتباهَ المسيح الموعود

عليه السلام في الإلهام في شتى المناسبات إلى هذا الأمر المهم مباشرة.. أنه يجب التمسك بأهداب الصبر والأخلاق السامية على الدوام مهما كانت الظروف قاسية ومهما عامَلكم العدو بتصرفات منحطة ورذيلة. يجب ألا تتركوا أهداب الصبر والاستقامة أبدا مهما فكَّر العدو في نسج المكايد والدسائس وألحق بكم الضرر فعلا، داوِموا على الاستعانة بالله بالدعاء وانتظِروا النصر من الله. لا شك أن عباد الله يتعرضون للابتلاءات والاختبارات من الله لكنهم يتحملونها لوجه الله. فقد ذكر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إلهاما له قد سجَّله في البراهين الأحمدية وينص على ما يلي: "الفتنة ههنا فاصبر كما صبر أولو العزم. إلا إنها فتنة من الله ليحب حبا جما.. حبا من الله العزيز الأكرم. عطاء غير مجذوذ."

فحين نصحه الله بالتمسك بالصبر حتى قبل دعواه بالنبوة وأخْذ البيعة بل في البدايات فقد ظل يتمسك ويعمل به إلى آخر لحظة من الحياة، وسأقدم لكم بعض الأمثلة على ذلك كما قلت آنفا.

يقول حضرة الشيخ يعقوب علي عرفاني لقد أرسل محمد حسين البطالوي ذات مرة في ١٨٩٨ رسالة مليئة بالسباب والشتائم إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وقد نشرتُ تفصيل ذلك في جريدة الحكم الصادرة في ٢٧ يوليو ١٨٩٨. وعندما أقرأ اليوم ذلك التفصيل بعد مضي ثلاثين سنة وأتدبر في رحابة صدر المسيح الموعود عليه السلام وضبطه للنفس وتوجهه إلى الله فإن عيني تفيض بالدموع تلقائيا، فقد رد عليه السلام على تلك الرسالة المليئة بأقذر السباب والشتائم بمنتهى الحلم ورحابة الصدر والصبر والتحمل. فلم يكن لأي شيء أن يزعزع جبل الوقار ذلك ويؤثر في ثبات جأشه أيما تأثير، فكان وقورا

وهادئ الطبع جدا، ولم يكن يؤثِّر فيه أيٌّ نوع من السباب والشتائم، أي لم يحدث قط أن ردَّ على رسالة الشتائم بالشتائم تاركا أهداب الوقار، ومن هنا يَثبت أن ما كتب أن الله ﷻ أوحى إليه "فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل✪" كان وحيا من الله في الحقيقة، وهو الذي كان قد وهب له ذلك الصبر خارقَ العادة ورحابة الصدر العظيمة التي تعطى لأولي العزم من الرسل، فكان ﷻ قد أنبأه قبل الأوان بحدوث الفتن العديدة وقد ظهرت تلك الفتن في مواعيدها بكامل الشدة والقوة، ولم تهز قدمه أيٌّ منها في أي مناسبة أو أي مرحلة.

ثم كتب حضرة الشيخ يعقوب علي عرفاني أيضا عن حِلمه عليه السلام مع معارضيه فيقول:

لقد حدثت الواقعة التالية في أثناء جلسة عُقدت في بيت "محبوب ارايون"، حيث كان زعيم طائفة براهمو سماج الهندوسية، "انباش موزم دار بابو" – على ما أذكر – يستفسر من حضرته عليه السلام ويطرح عليه بعض الأسئلة وكان حضرته يجيبه. وبينما هم في ذلك إذ جاء معارض بذيء اللسان وأخذ يصبّ على حضرته عليه السلام وابلاً من الكلمات البذيئة النابية والمؤذية جدا. ولا يزال ذلك المشهد ماثلاً أمام عيني حيث ظل هذا المعارض يثير صراخًا شديدًا وحضرته عليه السلام جالس دون أن ينبس ببنت شَفَة، واضعًا يده على فمه كما كانت عادته في مثل هذه الحالات حيث كان يضع على فمه طرفًا من

✪ أخطأ الراوي بإضافة كلمات: "من الرسل" إلا أنها غير موجودة في الإلهام. (المترجم)

عمامته أو يَدَه فقط، كأن أمرًا قد شغله فانهمك فيه وكأن شيئًا لم يحدث حوله عليه السلام، أو كأن أحدا يحدثه بحديث عذب ويُسمعه كلمات حلوة رائعة. فأراد الزعيم الهندوسي منْع هذا المشاغب، ولكنه لم يسكت. فقال له حضرته عليه السلام: دَعْه يقول ما يشاء ولا تقل له شيئا. فظلّ يهذي ويهذر حتى تعِب، ثم قام وانصرف. فأُعجبَ الزعيمُ الهندوسي بموقفه عليه السلام إعجابا شديدا وقال: لا شك أنها لمعجزةُ أخلاقك السامية.

لا شك أن حضرته عليه السلام كان يستطيع أن يُسكِّته، ويطرده من البيت، ولو أشار أدنى إشارة لأمكن قطع لسان هذا المجترئ بجريمة كلامه القذر، ولكنه عليه السلام قدّم نموذجًا عمَليًّا لحِلمه العظيم وضبطه الكامل لنفسه. (سيرة المسيح الموعود عليه السلام تأليف الشيخ يعقوب علي العرفاني رضي الله عنه ص ٤٤٣-٤٤٤)

ويذكر الشيخ يعقوب علي العرفاني رضي الله عنه أيضا:

كان "مِير عباس عليّ" يعترض على المسيح الموعود عليه السلام جالسًا أمامه في مدينة "جالندهر". وكان مولانا عبد الكريم رضي الله عنه أيضًا موجودا في هذا المجلس، وقد روى هو بنفسه هذه الواقعة فقال: كنتُ أرى "مِير عباس علي" يعترض على المسيح الموعود عليه السلام وحضرته يجيبه بمنتهى اللطف والرفق والرأفة، ولكنه كلما أبدى في جوابه وكلامه الرفقَ واللطف والوداد اشتدت ردّةُ فعلِ مير عباس علي، حتى بدأ يتواقح ويسيء إليه بشكل سافر جدا، ضاربًا كل العلاقات القديمة ومقتضيات النبل والوقار عُرْضَ الحائطِ، وشرَع في كلامه السُوقي المنحطّ. ولكني رأيت أن المسيح الموعود عليه السلام يقول له في هذه الحالة أيضا: جناب مِير المحترم، تعال معي وامكثْ عندي، وسيُظهِر لك الله تعالى آيةً

ما ويهديك بنفسه، وما إلى ذلك من كلام لين، ولكن مير عباس لم يزل يزداد غيظًا واجتراءً. وبرغم أنني كنت ألاحظ ما يتحلى به حضرته من حلم وضبطِ النفس، إلا أنني لم أستطع الصبر على بذاءة لسان مير عباس علي، وبقيت مضطربا حيث كنت أعتبر نفسي مجرمًا عديم الغيرة؛ إذ كان هذا يهاجم المسيح الموعود عليه السلام بهذا الأسلوب القَذِر وأنا جالس في صمت تام دون أن أحرّك ساكنا. فلم أتمالك نفسي، فهاجمتُه بكلام شديد وصِحْتُ به بشدة رغم مرضي، فقام وهرب.

كنت كلما أذكر ما قدّمه المسيح الموعود عليه السلام من نموذجٍ عالٍ لضبط النفس والحلم أخجل على ما فعلتُه، إلا أنني كنت مسرورًا بأني لم أرتكب جريمة عدم إظهار الغيرة إذ كيف يمكن أن يتكلم هذا الرجل بكلام غير لائق عن حضرته عليه السلام على مرأى مني وأبقى مستمعًا له؟ ولكني أدركتُ فيما بعد أن الأولى أن يكون احترامي له عليه السلام غالبًا على ما بدر مني من اندفاع وحماس. أي كان من مقتضى الأدب أن ألزم الصمت حتى لو كان قلبي جياشا هياجا، بل قد حدث أحيانا في مثل هذا الوضع أن ردَّ أحدُ الصحابة الاعتداء بالاعتداء وأبدى ثورة، فأبدى حضرتُه عليه السلام كراهيته وسخطه وقال: لا ينبغي مثل هذا التصرف تجاه الآخرين. (سيرة المسيح الموعود عليه السلام، تأليف الشيخ يعقوب علي العرفاني رضي الله عنه ص ٤٤٤-٤٤٥)

ثم يروي المولوي عبد الكريم رضي الله عنه واقعة أخرى:

ذات يوم جاء إلى مسجدنا شخص كان يتباهى بعلمه كثيرًا ويتظاهر بأنه زار بلادًا كثيرة واطلع على حضارات شتى فحنّكتْه تجارب الزمان، ثم ابتدأ

بأسلوبٍ وَقِحٍ جدًّا حديثه مع المسيح الموعود عليه السلام بصدد دعواه، وما مرّت على حوارهما إلا دقائق حتى أخذ يقول له بكل وقاحة: إنك كذاب في دعواك، وقد رأيتُ خدّاعين كثيرين أمثالك، ومثلي لا ينخدع بهم، وجعَل يكرّر قوله هذا، ولكن حضرته عليه السلام لم يتضايق من كلامه مطلقًا، بل سمعه بكل هدوء، ولما جاء دوره بدأ يجيبه بمنتهى الرفق.

كان دأب حضرته عليه السلام إذا سمع من أحد كلامًا رديئًا، منظومًا أو منثورًا، لم يُبْد كراهته له ولم يذمّ صاحبه قط، لا سرًّا ولا علانيةً، مهما كان هذا الكلام رديئًا وسخيفًا أو في غير محله. في بعض الأحيان كان المستمعون الآخرون يتضايقون من بعض الوافدين وكلامهم السخيف والجارح للقلب فيخرجون من المجلس، متهامسين بسخطهم، ثم بعد انتهاء المجلس كان كلٌّ منهم يعبِّر بطريقته عما كان يختلج في قلبه وذهنه (بأن قالوا ما أقبحَه مِن كلام سخيف وما إلى ذلك حتى يخرج ما يعتلج في صدره)، ولكن هذا الإنسان – الذي كان مظهرًا لصفة الله الحليم والشاكر – لم يكن يشير إلى ذلك الحديث أبدًا ولو تلميحًا. أي أن المسيح الموعود عليه السلام لم يذكر قط بأن فلانًا قال عني كذا وكذا. (سيرة المسيح الموعود عليه السلام لمولانا عبد الكريم السيالكوتي ص ٤٤، الناشر أبو الفضل محمود، قاديان)

يروي الشيخ يعقوب علي العرفاني رضي الله عنه ويقول:

تطرق الحديث في مجلسه عليه السلام في ٢٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٠٤م إلى جريدة تنشر السباب والشتائم ضده، فقال عليه السلام: علينا بالصبر، ماذا تضرنا هذه الشتائم؟ كان الكافرون في أيام الرسول ﷺ يشتمونه ويسمّونه مذمَّمًا –

معاذ الله- فكان يقول متبسمًا: ما لي ولمذَمَّتهم، فإن الله تعالى قد سمّاني محمَّدًا (ﷺ).

قال المسيح الموعود عليه السلام: كذلك لقد بعثني الله تعالى وهو من قال لي: "يحمدك الله من عرشه". وهذا الوحي مسجَّل في "البراهين الأحمدية". (سيرة المسيح الموعود عليه السلام تأليف الشيخ يعقوب علي العرفاني ص ٤٥٠)

يقول الشيخ يعقوب علي العرفاني رضي الله عنه:

لم يُوجَّه إلى المسيح الموعود عليه السلام هجومًا كلاميا بذيئا وجهًا لوجه فحسب، بل كانت تشن هجمات سوقية منحطة على حياته أيضا، وليس هذا فحسب بل تمت محاولات لاستصدار الفتاوى وحياكة المكائد لقتله، علاوة على ذلك كان وابلا من السباب والشتائم يُصبّ عليه في الجرائد والرسائل، ثم ترسل إليه مثل هذه الرسائل دون طوابع بريدية، فإذا لم تكن على رسالة من الرسائل طوابع بريدية كان على المستلم دفع رسوم الطوابع، وهكذا فإن المسيح الموعود عليه السلام كان يدفع من جيبه لاستلام مثل هذه الرسائل ولكنه عند فتحها لا يجد فيها سوى السب والشتائم البذيئة، فكان ينظر في مثل هذه الرسائل نظرة عابرة ثم يضعها في كيس بعد الدعاء لهؤلاء الأشرار والمتجاسرين.

كان المولوي محمد حسين البطالوي قد تمادى في معارضته في تلك الأيام ولم يكتف ببذاءة لسانه بل استعان بمتجاسرين آخرين كسعد الله اللُّدْهيانَوي وجعفر زَتَلّي وغيرهم الذين كانوا يسيئون إلى المسيح الموعود عليه السلام إساءات شنيعة، أما المسيح الموعود عليه السلام فكان إلهامُ الله العَذْبُ: "إني مهين من أراد

إهانتك"، يواسي عبده هذا ويلهمه الصبر والسلوان فكان يتجاوز قراءة كتاباتهم بكل صبر. في عام ١٨٩٨ أرسل المولوي محمد حسين رسالته المليئة بالشتائم إلى المسيح الموعود عليه السلام ونقلت في جريدة الحكم الصادرة في ٢٧ يوليو ١٨٩٨ حالة المسيح الموعود عليه السلام عند قراءته لتلك الرسالة. مضتْ على هذا الحدث ثلاثون عامًا إلا أنني كلما قرأت عن هذه الحالة استذكرتُ تحمل المسيح الموعود عليه السلام وضبطه نفسه ورحابة صدره وتوجّهه إلى الله لم أتمالك نفسي فاغرورقتْ عيناي رغمًا عني، ثم كتب بيت شعر بالأردية ومعناه:

كيف أقول لكم ما الذي تذكرتُه، وما هي الذكريات التي داهمتني جالسًا، إلا أن الذي حدث إثرها فهو أنه أثيرت في القلب شجون وتدفقت دموع غزيرة إلى الجفون.

أي أن ذكريات أحداث الماضي باتت تبكيني. ثم يقول: حدث في ٢٥ يوليو عام ١٨٩٨م أن جاء المدعو "محمد ابن شوغطّه" من محافظة سيالكوت يحمل رسالة من المولوي محمد حسين البطالوي فقدمها إلى حضرة المسيح الموعود عليه السلام. فكتب حضرته جملة عليها ثم سلمها له، وكانت تلك الجملة عبارة عن ردٍّ على رسالته. أخذها المولوي عبد الكريم رضي الله عنه وقرأ تلك الجملة على الحاضرين فنطق الجميع: آمين. كان ردّ المسيح الموعود عليه السلام عبارة عن جملة تالية باللغة العربية: "رب إن كان هذا الرجل صادقًا في قوله فأكرِمْه وإن كان كاذبًا فخُذْه، آمين." أي اللهم إن كان هذا الشخص الذي بعث إلي هذه الرسالة صادقًا فيما قاله في رسالته فأكرمه، وإن كان كاذبا فيما قال فقم أنت بمؤاخذته بسبب كذبه. ولم يقل حضرته شيئا آخر سوى كتابة هذه الجملة

الوحيدة. (سيرة المسيح الموعود عليه السلام للشيخ يعقوب علي العرفاني رضي الله عنه ص ٤٦٢-٤٦٣)

يقول مرزا بشير أحمد رضي الله عنه: أخبرَني شودري حاكم علي:

"ذات مرة كان حضرته عليه السلام يلقي محاضرة أو خطبة في المسجد الكبير، فاقتحمه أحدُ السيخ ووقف أمام حضرته عليه السلام ثم أخذ يسبه وجماعته سبًّا فاحشًا دون توقُّف. وظل حضرته عليه السلام صامتًا يسمع سبّه. فثار بعض منا لدرجة أنه لو كان هناك إذنٌ مِن حضرته لقُطِّعَ الرجل إربًا، ولكن الجميع التزموا الصمت هيبةً من حضرته عليه السلام. ولما تجاوز سبُّه الفاحش الحدودَ كلها قال حضرته عليه السلام: ليُخْرِجْه اثنان من المسجد برفق ومن دون أن يتعرضا له بسوء، وإذا لم يذهب من هنا فليسلّماه إلى الشرطي الموجود هناك." (سيرة المهدي مجلد أول ص ٢٥٧-٢٥٨ رواية رقم ٢٨١)

يقول مرزا بشير أحمد رضي الله عنه: أخبرني الحافظ روشن علي: لما اكتملت الإجراءات لبناء منارة المسيح في قاديان رفع الهندوس المجاورون لهذه المنطقة شكاواهم إلى الحكومة أنها ستؤدي إلى هتك سِتْرِهم. فجاء نائب المفوض من قبل الحكومة للتحقيق في الأمر، وقد قابل المسيح الموعود عليه السلام هذا المندوب في الغرفة المجاورة للمسجد المبارك على محضر من بعض المشتكين الآخرين. فجرى الحديث مع المندوب الحكومي وخلال ذلك قال له حضرته مشيرًا إلى الهندوسي "بُدّهامَل": اسأله هل حدث مرة منذ صِغري إلى يومنا هذا أن قصرتُ في اغتنام أي فرصة أتيحت لي لإفادته؟ ثم هل حدث أن فوَّتَ فرصةً للإساءة إليّ والإضرار بي؟ أي أنه ما وجد فرصة للإضرار بالمسيح الموعود

عليه السلام إلا انتهزها، أما المسيح الموعود عليه السلام فلم يفوّت فرصة قط لإفادته ونفعه.

يقول الحافظ روشن علي: كنت أرى إلى الهندوسي "بُدّهامَل" قد دسّ رأسه بين ركبتيه من شدة الندم، واصفر لون وجهه فلم ينبس ببنت شفة.

فمن كان يتحلى بشيء من الحيادية والنُّبل فلا يمكن أن يواجه الصدق والحق إذا ذُكّر به وجهًا لوجهٍ مهما كان عدوًّا لدودًا. لقد فسدت أخلاق الأعداء اليوم كليًّا، و لم يبق فيهم إنصاف ونبل مطلقًا.

ثم يقول الشيخ يعقوب علي العرفاني رضي الله عنه:

في شباط/ فبراير ١٩٠٣م جاء طبيب من مدينة لكهناو، وكان – على حد قوله – بغدادي الأصل، وكان مقيمًا في لكهناو منذ فترة طويلة، وأخبر أيضًا أن بعض أصحابه قد بعثوه إلى المسيح الموعود عليه السلام ليستطلع أحواله. فبدأ يوجه إلى حضرته عليه السلام بعض الأسئلة. كان في كلامه جسارة ووقاحة واستهزاء، ولكن المسيح الموعود عليه السلام لم يكترث بذلك مطلقًا، وظل يرُدُّ على أسئلته. وفي أثناء الحوار وجّه هذا الطبيب إلى حضرته السؤال الآتي: إنك تدعي أنه ليس هناك أحد يقدر على أن يكتب العربية أفصح منك؟ فقال عليه السلام: نعم. فقال الرجل بمنتهى الجسارة والسخرية: عفوًا، فإنك لا تستطيع أن تنطق حرف القاف نطقًا سليمًا. كنت موجودًا في هذا المجلس، وكانت نبرة كلامه مؤلمة لا تُحتَمل، ومع ذلك ظللنا صامتين بسبب حلمه عليه السلام، ولكن صاحبزاده مولانا عبد اللطيف الشهيد رضي الله عنه – الذي كان موجودا هناك وقتئذ – لم يتمالك نفسه، فزجره وقال له: لا يصبر على كلامك إلا حضرته!

ثم تحاورَ الاثنان وتشاجرا وكادا يتشابكان. ولكن المسيح الموعود عليه السلام منع صاحبزادة من التعرض له. فقال الطبيب لحضرته عليه السلام: إن الصبر على السباب والشتائم من شيمة الأنبياء. فأجابه حضرته: إنا لا نسخط على سبابك، ولن ترى هنا إلا الحلم والتواضع. وفيما يتعلق بطعنه على عدم قدرته عليه السلام على نطق القاف أجاب عليه السلام: إنني لستُ من سكّان لكهناو حتى تكون لهجتي كلهجة أهل تلك البلدة، (ناهيك عن لهجة عربية) وإنما أنا من سكان البنجاب. وقد سبق أن طُعِنَ موسى عليه السلام بهذا العيب حيث قيل له: ﴿ولا يَكادُ يُبِينُ﴾، وقد جاء في الحديث عن المهدي أنه سيكون في لسانه لَكْنَةٌ.

لقد ذكر القرآن ما طُعِنَ به موسى عليه السلام (مِن قبل فرعون): ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف:٥٣).. أي كيف يمكن أن أقبل قول هذا الشخص الرذيل الذي لا يستطيع أن يتكلم بصورة سليمة؟ هل أنا خير منه أم هو؟

وتعليقًا على ما وقع بين هذا الرجل وصاحبزاده عبد اللطيف رضي الله عنه قال المسيح الموعود عليه السلام ناصحًا جماعته: إن المبدأ الذي أعمل به هو أن أحدًا لو جاء ضيفًا وبلغ في كلامه حد السب والشتم فعلينا أن نصبر على ذلك، لأنه ليس من مريدينا، فكيف يحق لنا أن نتوقع منه ذلك الاحترام والحب اللذَيْن يبديهما المريدون. بل أرى أن كلامه معنا برفقٍ منّةٌ منه علينا. لقد قال رسول الله ﷺ إن للزائر عليك حقًّا. وأرى أن الضيف لو جُرحت مشاعره، ولو قليلاً، فهذه معصية. (ثم قال للضيف) أود أن تقيم عندنا بعض الوقت، لأن شهادتنا واحدة.. (أي كِلانا مسلم حيث ننطق بشهادة لا إله إلا الله محمد

رسول الله. ثم قال مخاطبا أصحابه:) إن من حقه أن يقول ما يشاء ما لم يفهم الأمر.(سيرة المسيح الموعود عليه السلام تأليف الشيخ يعقوب علي العرفاني ص ٤٥١- ٤٥٣)

يقول مرزا بشير أحمد رضي الله عنه أخبرني مير شفيع أحمد الدهلوي في رسالته:

كنت أعمل موظفًا عند الخواجه كمال الدين أثناء فترة إقامة المسيح الموعود عليه السلام في لاهور للمرة الأخيرة، فكنت آخذ بريد حضرته من مركز البريد وأسلمه إليه. وكنت أجد كل يوم رسالتين أو ثلاثة بدون طوابع. (وكما ذُكِر مسبقًا أن الرسائل بدون الطوابع البريدية كانت عبارة عن شتائم قذرة إلا أن المستلم لا بد أن يدفع رسوم البريد حتى يستلمها) يقول: كنت أجد يوميًا رسالتين أو ثلاثة دون طوابع، فكنت أستلمها وأدفع رسومها ثم أسلمها إلى حضرته فكان يدفع لي تلك الرسوم. في أحد الأيام لما استلمت أمام الخواجه كمال الدين هذه الرسائل المجردة عن الطوابع البريدية منعني من استلامها، فقلت له كنت أستلمها يوميًا و لم يمنعني عليه السلام من قبولها قط، ومع ذلك منعني الخواجه المحترم بشدة من قبول الرسائل التي لم تُدفع عليها رسوم البريد. عندما ذهبتُ إلى حضرته لتسليم البريد إليه أخبرته بأن الخواجه المحترم منعني اليوم بشدة من استلام الرسائل التي لم تُدفع عليها رسوم البريد. فمُرني يا سيدي، فلو أمرتني لذهبت إلى مكتب البريد فورا واستلمتُها. فتبسم عليه السلام وقال: "لا يوجد في تلك الرسائل إلا السباب والشتائم، ولا تحمل اسم المرسل أيضا. فلو كتب المرسلون أسماءهم لاستطعنا أن نوضح لهم موقفنا، ولكن يبدو أنهم يخافون لعلنا نرفع ضدهم قضايا في المحكمة، ولكن ليس ذلك من شيمتنا."

وبعد ذلك اليوم امتنعتُ عن استلام الرسائل التي لم تُدفع عليه رسوم البريد. (سيرة المهدي، الجزء الثاني، رقم الرواية ٤٥٥ الصفحة ٤٣٤)

يقول الميرزا بشير أحمد رضي الله عنه:

حدثتني السيدة رسول بي بي أرملة المرحوم الحافظ حامد علي عن المولوي عبد الرحمن جات: في بعض الأحيان كان الميرزا إمام الدين يكلِّف أحدا من الأوباش الأراذل ليشتم سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. فكان الشخص المكلَّف من قبله يشتمه عليه السلام طوال الليل. وعند السحور كان المسيح الموعود عليه السلام يقول لجدتي المحترمة أن تعطيه شيئا للأكل لأنه يكون قد تعب وجفّ حلقه، فكنت أقول له عليه السلام: يجب ألا نعطي شقيا مثله أي شيء، فيقول: لو أسأنا إلى أحد فالله تعالى ينظر إلينا. يجب ألا يصدر منا شيء غير لائق. (سيرة المهدي، الجزء الثاني، رقم الرواية ١١٣٠ الصفحة ١٠٢- ١٠٣)

يقول المولوي عبد الكريم رضي الله عنه عن المسيح الموعود عليه السلام:

إنه لم يكن يذكر في مجلسه أيًّا من المعارضين، وإذا تطرق الحديث إلى ذِكر أحد منهم فلم يكن يذكره بسوء، وهذا دليل بيّن على أنه ليس في قلبه نار تحرقه؛ مع أنه لو تأذى كأهل الدنيا بما لقيه من القوم من الأذى ومن المشايخ من المعاملة القاسية، لاحترق كمدًا ليلَ نهارَ، ولتحدَّثَ عنه بطريق أو آخر، وبالتالي ظل مضطربَ البال مشوَّشَ الأفكار، واختلّت أموره.

لم يستطع مشركو العرب أيضا أن يأتوا بشاتم ضد سيدنا رسول الله من حيث كيل الشتائم مثل المدعو "زتلي". أقول حلفا بالله إن تلك الجريدة البذيئة لم تستطع أن تكدر صفوه. لو اطلع أحد على شتائم هؤلاء المؤذين لفكر أنه

لا بد أن يذكرهم المسيح الموعود عليه السلام ليل نهار، ولكنه كان يتصرف مثل القاضي الذي عندما يتفرغ من وظيفته الموكولة إليه فلا يبقى له أدنى صلة مع أية قضية أو أصحابها أو العقوبة بعد إصدار الحكم. ولا تكون له أية رغبة ولا يُشغل باله بالموضوع. كذلك كان عليه السلام يكتب هذه الأشياء لإحقاق الحق وإبطال الباطل لوجه الله. ولم يكن لنفسه أي دخل في ذلك. فقال ذات مرة: إنني متمكن من ضبط نفسي، وقد جعل الله تعالى نفسي مُسْلِمَةً لدرجة أن أحدًا لو سَبَّني جالسًا أمامي أقذعَ سبٍّ واستمر مدّةَ سنةٍ كاملة لنَدِمَ في النهاية، واعترف بأنه لم يستطع زعزعة أقدامي من مكانها. (سيرة المسيح الموعود عليه السلام لمولانا عبد الكريم السيالكوتي ص ٥١-٥٢، الناشر أبو الفضل محمود، قاديان)

يقول حضرة الميرزا بشير أحمد رضي الله عنه: إن معظم الإخوة القدامى من الجماعة يعرفون ابنَي عمه عليه السلام، ميرزا إمام دين وميرزا نظام دين. كانا من ألد أعداء المسيح الموعود عليه السلام بسبب إلحادهم وعكوفهم على الدنيا. بل الحق أنهما كانا عدوَّين للإسلام أصلا. فذات مرة أقاما جدارا لإيذاء المسيح الموعود في الطريق الذي يؤدي إلى المسجد قرب بيته. وبه تأذى المصلون والزوار الذين كانوا يأتون لزيارته لأن ذلك أدّى إلى سَدّ طريقهم. مما أدى إلى معاناة كبيرة لحضرته عليه السلام والجماعة القليلة العدد المتواجدة في قاديان وكأنهم سُجنوا دون أن يُسجنوا. فاضطروا لرفع القضية بعد استشارة المحامين للتخلص من هذه المصيبة. طالت القضية المؤذية إلى مدة طويلة حتى ربحها المسيح الموعود عليه السلام بحسب بشارة إلهية مسبقة وهُدم الجدار. فرفع محامي المسيح الموعود عليه السلام دون

أن يستأذنه قضية ضد مرزا إمام دين ومرزا نظام دين من أجل الحصول على نفقات القضية حتى صدر الحكم بمصادرة عقارهما. عندها كتبا رسالة إلى المسيح الموعود عليه السلام بمنتهى التواضع إذ لم تكن عندهم نقود للتخلص من مصادرة العقار، فقالا له عليه السلام بتواضع شديد: هل تريد أن تهيننا بمصادرة عقاراتنا مع كونك أخانا؟ عندما علم حضرته بالأمر سخط على المحامي وقال لماذا رفعت القضية بدون إذني؟ فلتسحبها فورا. ومن ناحية ثانية أرسل رسالة إلى مرزا إمام دين ونظام دين قائلا: لا تقلقوا لن تصادر عقاراتكم، كل هذا قد حدث دون علمي. (السيرة الطيبة لميرزا بشير أحمد ص٥٩-٦٠)

يقول سيدنا الخليفة الثاني رضي الله عنه عن هذه الرواية: كان الله تعالى قد أخبر المسيح الموعود عليه السلام إلهاما وقت العشاء أن هذا العبء ثقيل عليهم جدا، وبسببه يواجه أقاربك المعارضون معاناة شديدة. يقول المسيح الموعود عليه السلام بأن النوم لم يكحل عينيّ طوال ذلك الليل فأرسلت شخصا على الفور أن يخبرهم بأني قد تراجعت عن النفقات كلها ولن تصادر عقاراتكم.

يقول الميرزا بشير أحمد رضي الله عنه: كان أبناء الجماعة يتأذون على أيدي أهل قاديان كثيرا وخاصة في الأيام الابتدائية. وكان الناس وخاصة السيخ مستعدين دائما للإيذاء بتحريض من مرزا إمام دين ومرزا نظام دين اللذين سبق ذكرهما، فكانا يحرضان الناس فكان السيخ بوجه خاص يؤذون الأحمديين كثيرا، وكذلك الذين كانوا يأتون لزيارة المسيح الموعود عليه السلام. وما كان الأمر يقتصر على الإيذاء فقط بل كان يتعدى إلى المشادات والضرب والشجار العملي. وإذا ذهب أحد من الأحمديين المهاجرين إلى مزرعة أحد للبراز (طبعا

لم تكن عندها تسهيلات معاصرة هنالك. وإن سكان القرى يعرفون ذلك جيدا) كان السيخ يُكرهونه أن يحمل برازه في يده. وفي كثير من الأحيان كانون يضربون أيضا بعض الأشراف من الأحمديين. وإذا أخذ أحدهم كمية من التراب من أرض غير مملوكة قرب القرية كان السيخ يصادرون السلات والمعاول من الأُجَراء ويطردونه من هناك. ولو تكلم أحد أمامهم كالوا له شتائم بذيئة وفاحشة واستعدوا لضربهم أيضا. وكانت مثل هذه الشكاوى تصل إلى حضرته عليه السلام بين حين آخر باستمرار، ولكنه كان ينصحهم بالصبر دائما، فيقول: تحملوا الضرب والشتائم واصبِروا. كان بعض الأحمديين المتحمسين يأتونه ليأذن لهم بالتصدي لهم فقط، وسيتداركون الوضع بأنفسهم. فكان عليه السلام يقول لهم: لا، بل يجب أن تصبروا. فذات مرة ذكر السيد أحمد نور الكابولي معاناته *(كان من سكان كابول من عِرْق "بتهان" وكان يملك طبيعة حادة بعض الشيء)* فاستأذنه للمواجهة، فقال عليه السلام: إذا كنتَ تستطيع أن تقيم هنا بالأمن والصبر فبها ونعم، أما إذا كنت تريد المواجهة ولا تقدر على الصبر فارجع إلى كابول. فكانت نتيجة تعليمه أن الأحمديين الأشراف الذين ما كانوا يتحملون إساءة بسيطة في حقهم أصبحوا يتحملون الإيذاء والمعاناة والإساءة على أيدي أراذل الناس دون أن ينبسوا ببنت شفة. فقد حدث مرة أن شخصا فقيرا أحمديا أخذ كمية من التراب لبيته من أرض غير مملوكة قرب القرية فجاء لفيف من السيخ متسلحين بالهراوى وهاجموا بيته. تحاشى الأحمديون الشجار بداية ولكن عندما بدؤوا يضربون الأحمديين الأبرياء وأضروا البيت أيضا تصدى لهم بعض الأحمديين مما أدى إلى

جرح البعض من الطرفين حتى اضطر المهاجمون للفرار. فهذه كانت المرة الأولى حين علم أهل قاديان عمليا أن الأحمديين لا يخافونهم بل يهابون إمامهم. ثم بدأت الشرطة بتحرّي الأحداث. ولأن الأحمديين كانوا مظلومين تماما وكان غيرهم قد هاجموا بيتهم بغير حق مع فئة كبيرة مسلحة لذا اضطرت الشرطة لتسجيل القضية ضد الجائرين مع معارضتها للأحمديين. وحين استيقن هؤلاء القوم بأنهم سيُصفَّدون قريبا أسرع بعضهم إلى المسيح الموعود عليه السلام وقالوا: كنا مخطئين، فنرجو أن تعفو عنا، فعفا عنهم جميعا.

يروي السيد يعقوب علي عرفاني: كان المدعو أحمد حسين شوكت يصدر جريدة "شحنة هند" في مدينة ميرتهـ، وكان يعتبر نفسه مجدد الألسنة الشرقية. ثم بدأ بإصدار ضميمتها ضد المسيح الموعود عليه السلام وكان ينشر فيها مقالات قذرة ضده عليه السلام. وبذلك كان يؤذي الجماعة كثيرا، ولا سيما فرع الجماعة في ميرتهـ حيث كانت الجريدة تصدر. ففي ٢ تشرين الأول ١٩٠٢م كان رئيس الجماعة السيد عبد الرشيد – وكان مزارعا وتاجرا محترما – جالسا في مجلس المسيح الموعود عليه السلام فقال: أنوي أن أرفع في المحكمة قضية ضد جريدة "شحنة هند". قال المسيح الموعود عليه السلام: تكفينا محكمة الله. من المعصية أن نتقدم على قدر الله، لذا من الضروري أن نصبر ونتحمل. وكانت الجريدة قذرة جدا بحيث ظن المطلعون عليها أنه عليه السلام سيقول حتما أنه لا بد من رفع القضية ضدها.

يقول الميرزا بشير أحمد رضي الله عنه إن المسيح الموعود نصح جماعته بالصبر، وقد أخبرني المفتي محمد صادق أن ميان إله الدين المعروف – بـ "فيلسوف

العرب" والذي كان لا يتمالك لسانه في بعض الأحيان – أساء إلى المولوي عبد الكريم بعض الشيء فاستشاط الأخير غضبا ولطمه. فاحتد الفيلسوف أكثر وبدأ باستخدام الكلمات المسيئة أكثر من ذي قبل. عندها ضربه بعض الناس بشدة، فبدأ المضروب يبكي ويصيح في مفترق الطريق. وكان صوته مرتفعا حتى تناهى إلى آذان المسيح الموعود عليه السلام. فجاء عليه السلام إلى المسجد قبل الصلاة وبدأ يتمشى فيه. كان المولوي عبد الكريم موجودا حينها. فقال عليه السلام: إن ضرب أحد بهذه الطريقة فعل جد مكروه وقد كرهتُ هذه الفعلة بشدة. حاول المولوي عبد الكريم أن يقول شيئا عن تصرف مسيء قام به الفيلسوف ليبرئ ساحته. فقال المسيح الموعود بغضب شديد: على أية حال، ما حدث كان أمرا سيئا جدا. إذا كان رسول الله موجودًا بينكم فما كان يليق بكم أن تقوموا بشيء برأيكم، بل كان ضروريا أن تسألوني. يقول الراوي بأن المولوي عبد الكريم أوشك على البكاء بل بكى فعلا على إثر سماع هذا الكلام واعتذر إلى حضرته عليه السلام. ثم اعتذر إلى المضروب أولئك الذين ضربوه وأرضوه، بل سقوْه حليبا أيضا.

يقول المسيح الموعود:

"اِسمعوا جيدًا أيها الناس جميعًا! إنه لما أنبأ به خالقُ السماوات والأرض أنه سوف ينشر جماعته هذه في البلاد كلها، ويجعلهم غالبين على الجميع بالحجة والبرهان. ولسوف تأتي أيام، وهي قريبة، تكون فيها هذه الجماعة هي الوحيدة التي تُذكَر في العالم بالعز والشرف. إن الله سوف يبارك في هذه الجماعة والدعوة بركاتٍ كبرى خارقة للعادة، ويخيِّب كلَّ من يفكر في

القضاء عليها، وسوف تستمر هذه الغلبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فإذا كانوا يستهزئون بي فلا ضرر من استهزائهم لأنه ما من نبي إلا وقد استُهزئ به. فكان من المقدر أن يُستهزَأ بالمسيح الموعود أيضا، كما يقول الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَّسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يس: ٣١)

فقد جعل الله تعالى علامة لكل نبي صادق أن يُستهزَأ به، ولكن مَن يستهزئ بالذي ينزل من السماء مع ملَكينِ أمام أعين الناس جميعا؟ فالعاقل يستطيع أن يفهم بهذا الدليل وحده أن فكرة نزول المسيح الموعود من السماء فكرةٌ باطلة تماما. اعلموا جيدًا أنه لن ينزل من السماء أحدٌ. إن جميع معارضينا الموجودين اليوم سوف يموتون، ولن يرى أحد منهم عيسى بن مريم نازلاً من السماء أبدًا، ثم يسود قلوبَهم القلقُ، فيفكرون أن أولادهم الذين يخلفونهم سيرونه، ولكن لن يرى أحد منهم أيضًا عيسى بن مريم نازلاً من السماء، ثم يموت أولاد أولادهم، ولكنهم أيضًا لن يروا ابن مريم نازلاً من السماء. وعندها سوف يُلقي الله في قلوبهم القلقَ والاضطراب، فيقولون في أنفسهم: إن أيام غلبة الصليب قد انقضت، وأن العالم قد تغيَّر تمامًا، ولكن عيسى بن مريم لم ينزل بعد؟

فحينئذ سينفر العقلاء من هذه العقيدة دفعةً واحدة، ولن ينتهي القرن الثالث من هذا اليوم إلا ويستولي اليأسُ والقنوط الشديدان على كل من ينتظر عيسى، سواء كان مسلمًا أو مسيحيًّا، فيرفضون هذه العقيدة الباطلة؛ وسيكون في العالم دين واحد وسيد واحد. إنني ما جئت إلا لأزرع بذرةً،

فقد زُرعتْ هذه البذرة بيدي، والآن سوف تنمو وتزدهر، ولن يقدر أحد على عرقلتها." (تذكرة الشهادتين)

فهناك بعض الناس الذين يعترضون - وينخدع بعض أصحاب الطبائع الضعيفة بأقوالهم المعسولة - فيقولون: إلى متى ستصبرون؟ لا أدري لماذا يبدي المتعاطفون المزعومون هذا التعاطف معنا؟ عليهم أن يهتموا بشؤونهم ويفكروا عن أنفسهم حتى لا تسوء عاقبتهم. لم يقل المسيح الموعود عليه السلام إن هذه المشاكل والمعارضة سوف تزول بعد فترة وجيزة وتنتشر الجماعة في غضون ثلاثين أو أربعين عاما. بل قال: لن يمضي القرن الثالث.... المقتبس المذكور أعلاه اقتبسته من كتاب "تذكرة الشهادتين" الذي أُلِّف في عام ١٩٠٣م أي قبل ١٠٧ عاما. واليوم قد وصلت جماعتنا بفضل الله تعالى - بالصبر والدعاء - مرورا بهذه المشاكل والمصاعب إلى ١٩٨ بلدا من بلاد العالم، وهي في تقدم مستمر، ونراها اليوم مترسخة في كل منطقة في الدنيا بفضل الله تعالى. وإن هذا التقدم هو الذي طيّرَ صواب المعارضين، فيتقدمون في المعارضة والتخطيط ضدها لأنهم يرونها متقدمة ومنتشرة في كل مكان. فإن هذه البذرة التي بذرها المسيح الموعود عليه السلام لا تزال تنمو وتزدهر كما قال عليه السلام. إن قانون الطبيعة هو أن الأغصان اليابسة تظهر في الأشجار الخضراء أيضا بعض الأحيان، فيقطعها صاحبها ويرميها بعيدا وهذا لا يؤثر في حملها ثمارا وأزهارا. فهذه الشجرة الخضراء التي بذرها المسيح الموعود تُسقى بماء الصبر والدعاء ولسوف تستمر في النمو والازدهار بإذن الله. والغصن الذي لا يستفيد من هذا الماء سيكون مَثله كمثل الغصن اليابس الذي سينقطع أو سيُقطَع. ففي ظل

الظروف السائدة التي تفاقمت فيها معارضة الجماعة أكثر من ذي قبل ولا تزال تتفاقم – بدأت من جديد في بعض البلاد الإفريقية حيث كانت قد خمدت من قبل – يجب على الأحمديين أن يستعينوا بالله بالصبر والدعاء أكثر من ذي قبل، ويكونوا جزءا لا يتجزأ من الشجرة الخضراء التي ستظل تنمو وتزدهر باستمرار. ندعو الله تعالى أن يوفقنا لذلك. آمين.